T.C.
FIRAT ÜNİVERSİTESİ
ORTA DOĞU ARAŞTIRMALARI MERKEZİ YAYINLARI NO: 26

ALTINCI ULUSLAR ARASI ORTA DOĞU SEMİNERİ

Selçuklu ve Osmanlı İdaresinde
Orta Doğu'nun Siyasi ve İdari Vaziyeti

Elazığ 11-13 Ekim 2012

BİLDİRİLER

Editörler
Prof. Dr. Mustafa ÖZTÜRK
Prof. Dr. Enver ÇAKAR

ELAZIĞ
2016

T.C.
FIRAT ÜNİVERSİTESİ
ORTA DOĞU ARAŞTIRMALARI MERKEZİ YAYINLARI NO: 26

ALTINCI ULUSLAR ARASI ORTA DOĞU SEMİNERİ

(Selçuklu ve Osmanlı İdaresinde Orta Doğu'nun Siyasi ve İdari Vaziyeti)

Elazığ 11-13 Ekim 2012

BİLDİRİLER

Editörler
Prof. Dr. Mustafa ÖZTÜRK
Prof. Dr. Enver ÇAKAR

ELAZIĞ
2016

Eserin Adı: Altıncı Uluslar Arası Orta Doğu Semineri (Selçuklu ve Osmanlı İdaresinde Orta Doğu'nun Siyasi ve İdari Vaziyeti), Elazığ 11-13 Ekim 2012, Bildiriler

Yayınlayan Kurum: Fırat Üniversitesi Orta Doğu Araştırmaları Merkezi

Basım Yeri: Elazığ

Basım Tarihi: 2016

Baskı: Fırat Üniversitesi Matbaası

Baskı Adedi: 250

ISBN: 978-975-394-084-9

Her hakkı mahfuzdur. Fırat Üniversitesi'nin izni olmadan tamamen veya kısmen çoğaltılamaz.

Yayınlanan bildirilerde ileri sürülen görüşler, yazarlarına aittir. Merkezimizin görüşünü yansıtmaz. Bundan dolayı Merkezimiz mesuliyet kabul etmez.

İsteme Adresi: Fırat Üniversitesi Orta Doğu Araştırmaları Merkezi Müdürlüğü, ELAZIĞ

Tlf:0.424.2370000/3651

Fax:0.424.2330062

e-mail: mozturk@firat.edu.tr

صورة السلاجقة في المصادر اللاتينية للحملة الصليبية الأولى وتأثيراتها (1095-1099م/488-492هـ)

أ.د حسن عبدالوهاب حسين سليم

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

جامعة الملك سعود

ملخص البحث

كان لنجاح السلاجقة في ضم بيت المقدس عام 1070م، ثم إنزالهم الهزيمة بالبيزنطيين في ملاذكرد عام 1071م آثاراً بالغة الأهمية على تاريخ المنطقة بأسرها. فقد استطاع السلاجقة في غضون سنوات قليلة من السيطرة على آسيا الصغرى، وباتوا على وشك فتح القسطنطينية. وسارعت البابوية للتحرك من أجل وقف انتشار المد السلجوقي الذي ترك اثره على طريق الحجاج النصارى عبر آسيا الصغرى والذي كان يمثل أحد الروافد الرئيسة لذلك. وأعد البابا جريجوري السابع مشروعاً لحملة صليبية "لتحرير اخوانهم في الشرق" داعياً "جند القديس بطرس" للمشاركة فيها.

وعلى الرغم من عدم إتمام هذا المشروع إلا أن خليفة البابا أوربان الثاني عمل على تنفيذ هذا المشروع لتحقيق أهداف عديدة من بينها الاستيلاء على بيت المقدس من قبضة السلاجقة، واستعادة طريق الحجاج عبر آسيا الصغرى. واستغل "صورة السلاجقة" في خطبه التي ألقاها في كليرمون والتي سوف نقوم بتحليلها في هذا البحث، وكيف استغلت هذه الصورة المشوهة لتحقيق أهداف البابوية. كذلك تناول مؤرخو الحملة الصليبية الأولى تقديم "صورة السلاجقة" في مؤلفاتهم سواء من كان منهم شاهد عيان ومشارك في أحداثها مثل المؤرخ المجهول أو ريموناجيل أو بطرس تيدبود، ومنهم من نقل هذه الصورة مثل رادولف دي كاين وألبرت أكس وغيرهم، ثم اختم البحث بالتأثيرات التي ترتبت على هذه الصورة في مصادر هذه الحملة.

Özet

Selçukluların 1070 yılında Kudüs'ü topraklarına katmaları ve bir yıl sonra Malazgirt'te Bizanslıları bozguna uğratmaları, bölge tarihine çok önemli etkiler bıraktı. Zira bir kaç yıl içerisinde Küçük Asya'yı zabtedip İstanbul'u fethetmeye çok yaklaştılar. Ancak Papalık süratle hareket ederek, Selçukluların genişlemesine mani olmak ve Hıristiyanların Hac yolunun en önemli güzergâhı olan Küçük Asya yolunu tehdit eden böyle bir yapıya karşı çıktı. Bunun için de Papa VII. Gregoryus "Doğu'daki kardeşlerini kurtarmak" için bir haçlı savaşı başlattı ve bunun gerçekleşmesi için de "Aziz Butros'un Askerleri"ni göreve çağırdı.

Her ne kadar bu proje akim kalsa da, Papa'nın halefi II. Orban bir kaç amacı gerçekleştirmek için bu projeyi işledi. Bu amaçların başında da Kudüs'ü Selçuklulardan geri almak, Küçük Asya'daki hac yolunun güvenliğini sağlamak. Bunun için de Gelirmeon'da irad ettiği nutuklarında "Selçukluların İmajı"ndan yararlandı. İşte bu tebliğ irad edilen bu nutukların yorumunu yapacak, Papalığın amaçlarına ulaşması için ne denli Selçukluların imajını kötülediğini işleyecek. Aynı zamanda ilk haçlı seferlerini yazan, gerek sefere bizzat katılan (Meçhul tarihçi veya Raymond veya Botrus Tidbut gibi) gerekse

başkalarından nakleden (Radolf Dıkayn veya Albert Iks ve başkaları gibi) tarihçilerinin bu imajı ne kadar zedelediklerini inceleyecektir. Son olarak tebliğimizi bu oluşan kötü imajın etkilerini ana kaynaklarından nakledeceğiz.

شكلت الدعاية ضد "المسلمين" حجر الزاوية في سياسة البابوية منذ أن استشعرت الخطر من جانبهم بعد نجاحهم في الوصول إلى كنيسة القديس بطرس في روما في بابوية البابا سرجيوس الثاني (844-847م). وبدأت دعايتها بالزعم أن المسلمين أسروا الرهبان والنساك، وهدموا الكنسية بأكملها. ولذا تمت الدعوة لعقد مجمع تم الاتفاق فيه على إعادة بنائها ومنع "الكفار" من دخولها مستقبلاً وفي بابوية حنا الثامن (872-882م) ذكر أن "العرب" انقضوا كالجراد ولوصف فظائعهم ينبغي أن يكون عدد الألسنة مساوياً لعدد أوراق أشجار تلك البلاد.[1] واستمرت البابوية في استغلال صورة المسلمين أو العرب في دعايتها لإثارة الحماس للمقاتلين للانضمام للدفاع عنها، وشكلت كتابات الرهبان جانباً في هذه الدعاية ضد المسلمين.[2]

يعتبر البابا جريجوري السابع (1073-1085م) أول من دعا للقيام بحملة ضد "الجنس الوثني" الذي تغلب على المسيحيين ودمر كل شيء حتى وصل إلى أسوار القسطنطينية وذبح آلاف المسيحيين كالشياه. ودعا إلى تقديم العون للمسيحيين على وجه السرعة،[3] ثم في خطاب آخر مارس 1074م/ 466 هـ دعا الراغبين للدفاع عن العقيدة لنجدة القسطنطينية التي وصل المسلمون إلى أسوارها. كما عاد البابا إلى سياسة أسلافه الدعائية ضد المسلمين وما يمثلونه من تهديد للإمبراطورية البيزنطية والويلات التي يتعرض لها المسيحيون في الشرق. وفي خطابه إلى الإمبراطور هنري الرابع (1056-1106م)، والمؤرخ في 17 ديسمبر 1074م/ 467هـ أعلن عن استعداده للمسير لنجدة الإمبراطورية البيزنطية واستعداده لجمع خمسين ألفاً للقيام بذلك.[4]

استغل البابا أوربان الثاني (1088-1099م) طلب الإمبراطور البيزنطي ألكسيس كومنين (1081-1118م) في دعايته لمشروعة الصليبي. وفي مارس 1095م انعقد في بياكنزا مجمعاً حضره مندوبين من الإمبراطور لطلب المساعدة من الغرب الأوربي لموجهة خطر الأتراك السلاجقة.[5] ووافق البابا حيث شجع الحاضرين على القسم بمساعدة بيزنطة بكل إخلاص وبأقصى ما لديهم لمقاومة "الكفار" ـ حسب زعمه ـ وإرسال جيش إلى الشرق وهو ما لم يكن يرغب فيه الإمبراطور البيزنطي.[6] واستمر البابا في

---

1) Fred E. Engreen, Pope John The Eigth and Arabs, Speculum, xx, 1945, 318-330; السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية (320-1081م)، بيروت 1982، ص 469-497

(2) راجع على سبيل المثال وصف فيالبد في رحلة الحج عام 720م عندما وصف المسلمين "بالوثنين" كما وصفهم بده (ت 735م) بأنهم أعداء المسيح (عليه السلام)، وانتقلت نفس الصورة إلى أسبانيا حيث وجهت نفس الاتهامات الباطلة للإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم. للمزيد: مونتجمري وات: فضل الإسلام على الحضارة الغربية ـ نقله إلى العربية، حسين أحمد أمين، القاهرة 1983م، ص 99-105

J. Lamonte, Crusade and Jihadm in: Arad Heritage, ed. By N.A. Faris, New Jeresy, 1964, pp. 158-198

(3) Oliver J. Thacher, and Edgar Holmes Mc Neal, eds.A Source Book for Medieval History, (New York, Scribners, 1905), pp.512-13

(4) قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة – الكويت 1990/ص 31-32

Runciman, S., The Concils of Piacenza and Clermont, in Setton, (ed.), A History of Crusades, vol. I., (Philadelphia) 1958, pp.220-224

(5)Berneld of Constonce, Chronican, MGH.Sc.vol. V Runciman, S., The Concils of Piacenza and Clermont, in Setton, (ed.), A History of Crusades, vol. I., (Philadelphia) 1958, pp. 220-224

(6)Runciman, the Councils, p.249

ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، مجمع الفاتح ـ ليبيا ـ 1990، ص 20-24، زابروف (ميخائيل): الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، 1986، ص 42-43

رحلته متوجهاً إلى غالة للتحضير لمجمع كليرمون وأمضى عدة أشهر التقى خلالها بالعديد من الشخصيات الدينية والدنيوية استعداداً لطرح مشروعه على المجمع[7].

وفي الثامن عشر من نوفمبر 1095م بدأت أعمال مجمع كليرمون والذي ألقى فيه البابا أوربان الثاني عدة خطب انتهت بخطبته الرئيسة التي ألقاها في السابع والعشرين. ووصلت لدينا عدة نسخ من هذه الخطبة سجلها بعض المؤرخين الذين حضروا المجمع ولكنهم لم يسجلوها في حينها وإنما بعد مرور أكثر من عامين. كما أنه لم يصل نص رسمي لها في سجلات البابوية.[8]

ومن الملاحظ على نص الخطبة التي سجلها المؤرخ المجهول وبطرس تيدبود والتي كتبت حوالي عام 1101م/493هـ أن الإشارة إلى "الأتراك" لم ترد في هذا النص. وما ورد نص مختصر حث فيه البابا الحاضرين على الخلاص بأرواحهم والمعاناة من أجل السيد المسيح (عليه السلام) واعداً إياهم بأنه سيكون لهم جزء من الميراث.[9]

أورد فوشيه الشارتري نصاً لخطبة البابا أوربان ذكر فيه "الأتراك" بصورة مباشرة. ويحدد سبب توجهه إلى غالة بأنه سمع أن الأتراك احتلوا المناطق الداخلية من أراضي بيزنطة وأن المسيحيين خضعوا لشعب متوحش هدّام. كما أشار إلى "المحنة التي تحيق بالمسيحية في طرف آخر من العالم" ثم طالب البابا الحاضرين بمد يد العون إلى إخوتهم القاطنين في المشرق. وتستمر الإشارة إلى "الأتراك والعرب" الذين هاجموهم واحتلوا أراضي الرومان حتى وصلوا إلى ساحل البحر المتوسط والبوسفور الذي يسمى ذراع القديس جورج، وانتصروا عليهم في سبع معارك. وقاموا بأعمال القتل والأسر وتدمير الكنائس وتخريب الإمبراطورية. ثم يدعوهم للإسراع بالخروج سواء من الفرسان أو المشاة لإنقاذ المسيحيين وتدمير ذلك الجنس الشرير. وطرده من أراضي أصدقائنا. وأنه يعلن ذلك سواء للحاضرين أو الغائبين.[10]

ومن الملاحظ على نص هذه الخطبة اختلافها عن النصين السابقين على الرغم من حضور المؤرخين الثلاثة لمجمع كلير مون. ويرى البعض أن فوشيه سجل القسم الأول من تاريخه بعد عام 1101م وبعد الكارثة التي حلت بصليبي حملة عام 1101م/494هـ، والتي أنزل فيها السلاجقة هزيمة مروعة بالصليبيين جعلت فوشيه يحجم عن تسجيل أحداثها.[11] ومن هنا يتّضح السبب الذي جعل هذا المؤرخ يصب جام غضبه على الأتراك ويقحم هذه العبارات في نص خطبة البابا أوربان والذي لم ترد في مراسلاته عقب هذه الخطبة أية إشارة لهم كما سنلاحظ من الخطابات التالية.

عقب الانتهاء من دعوته لخروج الحملة الصليبية والتي حدد لها عام 1096م/489هـ، أرسل البابا مجموعة من الخطابات لتنظيم الأمور المتعلقة بالحملة الصليبية. ولم نجد في هذه الخطابات المعاصرة أية

---

(7)Dana. C. Munro, "The Speech of Pop Urban II at Clermont, 1095", American Historical Review (AHR) 11, 1906, PP.231-242

(8) حسن عبدالوهاب حسين: دراسات في التاريخ الاقتصادي للحروب الصليبية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 18-20

(9) The Speech of Urban, The Gesta Version (in Peters) pp.25-26; Tudedodus, Petrus, Historia Hierosolymitano itinere, trans. J.H.Hill and L.I.Hill, (Philadephia)1974,p.15

وترجمه إلى العربية حسين محمد عطية: تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، الإسكندرية، 1999م

(10) Fulcher of Chartres, A History of the expedition to Jerusalem 1095-1127, trans by F.R. Rayan, Konville, 1969, pp.62

وتوجد ترجمة عربية له: الوجود الصليبي في الشرق العربي، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس، ترجمة قاسم عبده قاسم، الكويت 1993.

(11) مقدمة الترجمة العربية لفوشيه الشارتري، ص 46، وعن الحملة انظر:

Runciman, S., The Crusade of 1101, Jahrbuch der osterreichisch- Byzantinischen Gesellschaft, 1 (1951) pp. 3 II.

إشارات عن "الأتراك" وإنما ذكر "المسلمين" ففي خطابه إلى أتباعه في فلاندرز دعاهم "لمساعدة الكنيسة الأسيوية وتحرير إخوانهم من طغيان المسلمين".[12]

وفي خطاب آخر مؤرخ في السابع من أكتوبر 1096م، استنفر الفرسان "لكبح جماح وحشية المسلمين وإعادة الحرية للمسيحيين" [13] ومن الملاحظ تركيزه في دعايته على "تحرير المسيحيين" والاتهامات الموجهة للمسلمين. وهو ما سبق أن ورد في خطابات البابا جريجوري السابع والذي يسير أربان الثاني على خطاه في دعوته للصليبية.

ومع نهاية عام 1096م/489هـ أخذت صورة "المسلمين" في التغير في خطابات البابا. وفي وثيقة تم اكتشافها مؤخراً حث شعب أنجرز على الذهاب إلى بيت المقدس "لطرد الوثنيين الذين احتلوها وجميع الأراضي المسيحية حتى القسطنطينية". [14] ولا شك أنه يقصد هنا "الأتراك السلاجقة" الذين فتحوا بيت المقدس منذ عام 1070م، ثم أنزلوا الهزيمة بالبيزنطيين في مانزكرت عام 1071م وما تبع ذلك من فتحهم آسيا الصغرى حتى باتوا على أبواب القسطنطينية.

استغل المؤرخون اللاتين الهزيمة المروعة التي حلت بجموع الحملة الشعبية على يد قلج أرسلان (485-500هـ) في صب جام غضبهم على الأتراك وإلصاق التهم بهم. وبطبيعة الحال فإن هذه الجموع لم يكن بمقدورها مواجهة قوة السلاجقة، بالإضافة إلى ما أصابهم من جشع وطمع بعد تحقيق مجموعة منهم انتصاراً مبدئياً وحصولهم على الغنائم. وعندما دخلوا في مواجهة مع السلاجقة كان ما حل بهم من هزيمة مروعة. وسقطت منهم أعداداً ضخمة من القتلى بالغت في ذكرها المصادر اللاتينية.[15]. أما الأسرى فقد وصفت هذه المصادر ما حل بهم حيث زعمت أن الأتراك اتخذوهم هدفاً لسهامهم كما قتلوا أحد القساوسة وهو يتلو القداس عند المذبح، وتم إرسال الباقين إلى بلدان مختلفة.[16] أما ألبرت أوف أكس فينقل روايات العائدين التي بالغت أيضاً فيما حل بهذه الجموع وأن الأتراك كانوا يقتلون الضعفاء والعجزة والنساء المسنات والأطفال الرضع، وكذلك القساوسة والرهبان. أما الفتيات الجميلات والشبان الصغار فقد تم الإبقاء عليهم والاحتفاظ بهم.[17]

ولا شك أن هذه الصورة التي نقلتها هذه المصادر اللاتينية كان الهدف منها إذكاء روح الصليبية في الغرب الأوربي بعد نهاية الحملة الصليبية الأولى والتي تم تسجيل هذه الكتابات بعد عام 1100م.[18]

وإذا عقدنا مقارنة بين الخطابات المعاصرة للحملة الصليبية الأولى ـ حملة الأمراء ـ وما ذكرته المصادر اللاتينية المعاصرة نجد اختلافاً واضحاً لصورة الأتراك" وتؤرخ الرسالة الأولى في 10 فبراير 1098م. ويشير فيها أنسلم إلى ما حدث عند نيقية والانتصار على الأتراك، أما عن أعداد الأتراك يذكر

---

(12)Letter of Urban II to all Faithfull in Flanders (in Peters, ed.) p.42

(13)Letter of Urban II to the religious of the Conjregation of Vallombrosa (in: Peters) pp.44-45

(14)George T. Beech, Urban II, The Abbey of Saint Florent of Saumur, and the First Crusade, in: Autour de la Premiére Croisade, ed. M. Balaed (Paris 1996), pp.57-58, 61-62

(15) ريموناجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين محمد عطية، الإسكندرية 1990م، ص 78-79. وذكر أن أعداد القتلى بلغت حوالي ستين ألفاً دون أن يحدد مصدره في ذلك.

(16) عن النصوص المتعلقة بنهاية الحملة الشعبية انظر:

August. C. Krey, The first Crusde: The Account of Eyewitnesses and Participants (Princton, 1921).

(17)Version of Albert of Aix (Aachen) in : August. C. Krey, op.eit.pp.37-76.

(18) انتهت غالبية مصادر شهود العيان في الحملة الصليبية الأولى بين عامي 1099، 1100م، وهو تاريخ تسجيلها مثل أعمال الفرنجة، ريموناجيل، بطرس تيدبود.

أنهم كانوا مائتين وستين ألفاً. ويبدو أنه نقل ذلك عن أحد الشهود لأنه لم يكن مع الجيش الصليبي في ذلك الوقت.[19]

أما ستيفن كونت بلوا وشارتر فقد كتب إلى زوجته في 29 مارس 1098م وصف الأتراك "بالخائنين" وعبر عن فرحته بعد الانتصار عليهم "وسقناهم كالماشية من وسط أرمينية حتى وسط الفرات العظيم".[20]

وفي خطاب ثالث أرسله مجموعة من القادة الصليبيين إلى البابا أوربان الثاني في 11 سبتمبر 1098م، اختلفت صورة الأتراك لديهم. حيث وصفهم كاتب الرسالة "بأنهم لطخوا بالعار سيدنا يسوع المسيح". وفي أثناء عبورهم لآسيا الصغرى شردوا الأتراك وقائدهم الجبار وجردوه من جميع أراضيه وأملاكه.[21] وعلى الرغم من أن هذه الرسائل يغلب عليها الطابع الشخصي إلا أنها كانت جزءاً من الدعاية لما حققه الصليبيون وتم استغلال "صورة الأتراك" بشكل واضح. فيزعم أنسلم في رسالته الأولى أنهم استولوا على مائتي مدينة وقلعة وأنه يفخر بما حققته الكنيسة الأم ومساعدتها للكنيسة الشرقية.

بالغت المصادر اللاتينية المعاصرة في استخدام "صورة الأتراك" بعد نجاح الصليبيين في الاستيلاء على نيقية في 19 يونيو 1097م/490هـ، وكذلك الهزيمة التي لحقت بقلج أرسلان وقواته عند ضوريليوم في أول يوليو 1097م/490هـ، وتشير المصادر الثلاثة إلى أن عدد القوات التركية كان ثلاثمائة وستين ألفاً من مختلف الأجناس.[22] وتنسب النصر الذي تحقق للرب الذي كان بجانبهم في مواجهة "الأتراك". وامتدت السخرية إلى الاستهزاء بنداء الله أكبر حيث يصفه بعضهم ــ والعياذ بالله ــ بأنه "كلمات شيطانية" على الرغم من اعترافهم بأنهم يجهلون هذه اللغة.[23] وعلى الرغم من اعترافهم أيضاً بشجاعة الأتراك وبسالتهم في المعارك، إلا أنهم يرون أن ذلك مرجعه إلى أن أصولهم مشتركة وأنهم كان يجب عليهم الإيمان بالمسيحية.[24] ولا شك أن هذه الصورة للأتراك في هذه المرحلة من تقدم الحملة كانت تهدف إلى التفاخر بما أحرزه الصليبيون من انتصارات على الأتراك واستغلال ذلك في الغرب الأوربي لاستمرار تدفق الصليبيين على الأراضي المقدسة.

وفي أثناء حصار الصليبيين لأنطاكية من نهاية أكتوبر 1097م إلى يونيو1098م/490إلى 491هـ، نجد استغلال صورة الأتراك لتمجيد إنجازات الأمراء الصليبيين على الرغم من أن سقوط المدينة جاء بعد خيانة فيروز لياغي سيان. فيزعم ريموناجيل ــ مؤرخ ريموند الصنجيلي ــ أن أربعمائة فارس صليبي دحروا ستين ألفاً من "الوثنيين"، وتتناقض روايته بأنهم عادوا دون أن يحصدوا شيئاً من الغنائم.[25] وفي معركة أخرى جرت في 9 فبراير 1098م/491هـ سبعمائة من الصليبيين يواجهون خمساً وعشرين ألفاً من الأتراك والذين فروا دون سبب واضح.[26] ويختلف الرقم لدى ريموناجيل فيذكر أن عدد الأتراك

---

(19)Dana C. Munro, letters of the crusaders Translation and Reprints from the Original Sources of European History, vol. I; 4(Philadelphia 1869)2-5

(20) Dana C. Munro, letters, pp.5-8

(21) Dana C. Munro, letters, pp.8-11

(22) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له د. حسن حبشي، القاهرة 1958م، ص 40-41 ؛ فوشيه الشارتري: المصدر السابق، ص 112، ويذكر أنهم جميعاً كانوا من الفرسان رماة السهام!! ؛ بطرس تيدبود: المصدر السابق، ص 110 ؛ أما ريموناجيل فيذكر أن قوات بوهمند رأت مائة وخمسين ألفاً يقتربون في تشكيل قتالي.

(23) اتفق المؤرخ المجهول وبطرس تيدبود في الوصف أعلاه، أما عبارة "الله أكبر" فوردت لدى رادولف دي كاين والذي سجل تاريخه بعد فترة من نهاية الحملة وأصبحت الكلمة معروفة لدى اللاتين في الأراضي المقدسة. راجع:

Radulf of Caen, Gesta Tancridi Sicilliae in Expedition Hierosolymitana, in R.H.C-HOcc. Vol. III, P.636

(24) بطرس تيدبود: المصدر السابق، ص 114 – ويقلل من قوة الأتراك بأنهم ليسوا مثل رجالنا من حيث المظهر والعقل والفكر.

(25) تاريخ الفرنجة، ص 90

(26) بطرس تيدبود: المصدر السابق، ص 142.

كان ثمانية وعشرين ألفاً وأنهم فروا بعد أن صلى الفرنج.[27] وفي معارك جانبية أخرى يستمر ريموناجيل في رسم صورة الأتراك وجبنهم، ويجعلهم يفرون من أمام الصليبيين.[28]

واستغلت هذه المصادر اللاتينية صورة الشهداء الأتراك في المعارك السابقة حيث اعترفت بفصل رؤوسهم أمام إخوانهم في أنطاكية لإدخال الحزن في قلوب من بداخل المدينة.[29] كذلك لم تسلم مقبرة أنطاكية من جشع الصليبيين والذين اقتحموها بحثاً عن الثروات المخبأة بها.[30] ويفاخر ريموناجيل أنه لا يمكن إحصاء عدد رؤوس الأتراك التي قطعت.[31]

تناقضت روايات المصادر اللاتينية السابقة مع خطاب ستيفن إلى زوجته وخاصة فيما يتعلق بأعداد القوات التركية. فيحددها في إحدى المعارك بخمسة آلاف، كذلك من قدم لنجدة أنطاكية بأنهم اثنى عشر ألفاً.[32] ولا شك أن هذه الأرقام أقرب إلى الحقيقة بخلاف ما ذكرته المصادر السابقة والتي كتبت بعد انتهاء الحملة وكان هدفها الرئيس هو استغلال صورة الأتراك في الدعاية في الغرب الأوربي.

قدمت المصادر اللاتينية صورة أسطورية جديدة عن الأتراك السلاجقة وذلك عند حديثها عند كربوغا حاكم الموصل الذي تحرك لإنقاذ أنطاكية بعد سقوطها في 3 يونيو 1098م/491هـ. وتنقل هذه المصادر أحاديث مزعومة بين كربوغا وياغي سيان حاكم أنطاكية قبل مقتله، وكذلك رسائل منه يخبر فيها بأنه سوف يقتل الفرنج ويرسلهم أذلاء إلى خراسان.[33] وأقحمت هذه المصادر أم كربوغا وأوردت نصاً لحديث جرى مع ابنها طالبته بعدم محاربة الفرنج لأن المسيح (عليه السلام) وعدهم بأن تكون حدودهم من الشرق إلى الغرب. كما أنها لديها معلومات بتوصل البعض منذ مائة عام ومن خلال كتب مقدسة، بالإضافة إلى معرفتها بالنجوم والكواكب بانتصار الفرنج. وتنتهي القصة الدعائية بأنه إذا لم يستمع لنصيحتها فإنه سيلقى حتفه خلال عام. ولكن الابن رفض نصيحة الأم وأصر على محاربة الفرنج.[34] ولا شك أن هذه القصة بما حوته من "صورة أسطورية جديدة للأتراك" كان الهدف منها تمجيد انتصارات الفرنج إلى ظواهر غير عادية وترويج ذلك بين الغربيين.

وفي صورة أخرى جمعت بين الحقيقة والأسطورة عن "صورة الأتراك" ـ عرضت هذه المصادر سفارة أرسلت إلى كربوغا وعلى رأسها بطرس الناسك وقدمت صورة مختلفة للشخصيتين. فالأول كان ساخراً من أسلحة الفرنج وغير مكترث بهم حتى أنه كان يلعب النرد في خيمته وهدد السفارة والفرنج بما سيلحق بهم من هزيمة. أما بطرس الناسك فقد أظهرته الروايات بمظهر الشجاع والجرئ في حواره مع كربوغا حيث زعم بأن هذه الأرض أراض مسيحية وطالب كربوغا باعتناق المسيحية والرحيل مقابل السماح له بالحصول على ما يشاء من الدواب والغنائم وغيرها.[35] عادت السفارة دون أن تحقق شيئاً ثم كان الصدام بينهما في اليوم التالي (28 يونيو 1098م).

---

(27) تاريخ الفرنجة، ص 104، والاقتباسات الواردة في النص من العهد القديم

(28) ذكر أن فارس صليبي من بروفانس ومعه مائة وخمسين من المشاة نجحوا في تحطيم غطرسة العدو. راجع ص 106-107

(29) للمزيد عن معاملة الشهداء الأتراك وفصل رؤوسهم راجع: بطرس تيدبود: المصدر السابق، ص 136، أعمال الفرنجة: المصدر السابق، ص 59.

(30) يزعم أعمال الفرنجة أن الأتراك دفنوا بها قطعاً من الذهب وبيزنطات وغيرها. ثم يصف المقبرة بأنها "شيطانية" كعادته في الاستهزاء بشعائر الأتراك. راجع: المصدر السابق، ص 63

(31) المصدر السابق، ص 108.

(32) Dana C. Munro, Letters, pp.5-8

(33) تستخدم المصادر اللاتينية هذا المسمى والذي تعني به الموصل. وهي بخلاف تلك المقصودة في المصادر العربية والتي تشمل أراض شاسعة شرق إيران وجنوب نهر جيحون. راجع مادة خراسان في دائرة المعارف الإسلامية.

(34) انفرد أعمال الفرنجة وبطرس تيدبود بقصة أم كربوغا وباقي التفاصيل الأخرى والذي تتضح منها هدف الدعاية لبوهمند بصفة خاصة ومعه تانكرد. راجع، ص 71-79. وتدعي الرواية أنها من القرآن الكريم وكتب مقدسة أخرى حسب زعمهم.

(35) أعمال الفرنجة، ص 90-91، بطرس تيدبود: المصدر السابق، ص 227-228، وأضاف ريموناجيل أن كربوغا جعل بطرس يركع أمامه. المصدر السابق، ص 143. كما نقل فوشيه أخبار السفارة مختصرة وأضاف أنه عرض مبارزة بين مجموعة صغيرة من الفرسان لحسم الصراع بينهما.

وعند عقد مقارنة لما أوردته المصادر اللاتينية السابقة مع الخطابات المعاصرة لا نجد في الأخيرة هذه الصورة الخيالية التي رسمها المؤرخون اللاتين عن هذه الأحداث. فخطاب أنسلم المؤرخ في يوليو 1098م/491هـ، أي بعد سقوط أنطاكية بفترة قليلة لم يتضمن سوى الإشارة إلى أن كربوغا قائد جيوش ملك فارس أقسم على التخلص من الصليبيين، ثم يذكر أن الصليبيين بعد ذلك اقتحموا أنطاكية وقتلوا من بها من "الوثنيين" ـــ حسب زعمه ـ لم يفلت إلا من نجا إلى قلعتها.[36] أما الخطاب الثاني والذي أرسله مجموعة من القادة الصليبيين إلى البابا أوربان الثاني ومؤرخ في 11 سبتمبر 1098م/491هـ، فلم يرد فيه ذكر كربوغا أو سفارة بطرس الناسك السابقة واكتفى كاتبه بتمجيد الانتصار على الأتراك ونسب ذلك إلى الرب الذي كان يقاتل معهم. ثم يختتم الخطاب بالإشارة إلى الهدف الحقيقي لهذه الحروب وهي "اخضاع الأتراك والوثنيين"، وكتلكة الكنائس الشرقية حيث اعتبروهم هراطقة، ثم الاستيلاء على بيت المقدس.[37]

وفي اطار آخر نجد المصادر اللاتينية تقدم صورة لبعض الأتراك الذين ارتدوا عن دينهم. ويزعم ريموناجيل أن مجموعة من الأتراك ارتدت عن دينها وعملت في صفوف الصليبيين بعد معركة نيقية.[38] وذكر مؤلف أعمال الفرنجة أن أحمد بن مروان قائد حامية أنطاكية عرض على بوهمند تأمين من يدخل في المسيحية، ويسمح لمن يرفض بمغادرة القلعة. ووافق بوهمند على ذلك حيث عُمّد القائد المسلم ومن معه وسمح للباقين بالمغادرة إلى بلاد المسلمين.[39] ويوافق ذلك ما ذكره كاتب خطاب مجموعة القادة إلى البابا، حيث زعم أن ألفاً ممن كان في القلعة دخلوا في المسيحية. ولم ترد الإشارة إلى أحمد بن مروان.[40] ورواية المؤرخ المجهول وكاتب الخطاب السابق هدفها الدعاية لبوهمند حاكم أنطاكية كما يتضح من المصدرين. ولم يذكر ابن العديم سوى تسليم أحمد بن مروان للقلعة بعد أن آمّنه الصليبيون الذين أنزلوه في دار بأنطاكية وأطلقوا أصحابه إلى أعمال حلب.[41] كذلك لجأ الصليبيون أثناء حصارهم تل منس في يوليو 1098م/شعبان 491هـ إلى تخيير أهلها ما بين دخول المسيحية أو الموت.[42]

ويشير ابن العديم إلى مشاركة أهالي تل منس وآخرين في مهاجمة الفرنج ونجاحهم في قتل ألف منهم حملت رؤوسهم إلى معرة النعمان.[43] ولا ينكر الباحث لجوء البعض إلى الارتداد في ظل هذه الأحوال ولكنها لم تكن على النحو الذي بالغت فيه هذه المصادر على النحو المشار إليه، بل كانت حالات فردية لضعاف الإيمان. ولمزيد من الدعاية في استغلال صورة المرتدين الأتراك نجد المؤرخ ريموناجيل يختتم مؤلفه بقصة أحد الأتراك المرتدين والذي سُمي بوهمند بعد ارتداده كان يقوم بالتفاوض مع الفاطميين في أثناء معركة عسقلان 1099م/492هـ والذي كان يتقن عدة لغات ويصفه بالإخلاص لهم.[44]

ازدادت الحاجة إلى استغلال "صورة الأتراك" في الدعاية لاستمرار الصليبيات خاصة بعد نجاح الأتراك السلاجقة في إنزال الهزيمة بصليبي عام 1101م/494هـ والذي كان له آثار بعيدة المدى على

---

(36) August C. Krey, The First Crusade, pp. 157-60

(37) Dana C. Munro, Letters, pp.8-11

(38) أعمال الفرنجة، ص 79.

(39) أعمال الفرنجة، ص 95-96

(40) Dana C. Munro, Letters, pp. 8-11

(41) ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، نشر وتحقيق سامي الدهان 3جـ، دمشق 1951-1967، ص 502. أما ابن القلانسي فلم يذكر سوى لجوء سكان أنطاكية إلى قلعتها ـ ذيل تاريخ دمشق، نشر وتحقيق سهيل زكار، دمشق 1983، ص 230

(42) B.Z. Kedar, Crusade and Mission, Euopen Approaches to the Muslims, Princeton, 1988, p.62

(43) زبدة الحلب، ص 502

(44) أعمال الفرنجة، ص 263، وانفرد ريموناجيل بهذه الرواية والتي تحمل جانباً دعائياً لسيده ريموند الصنجيلي.

الحملات الصليبية لمدة ما يقرب من نصف قرن.[45] وكان لاستيلاء الصليبيين على بيت المقدس في 1099م/492هـ أثره على البحث عن عامل آخر أكثر إثارة في الغرب الأوربي. وعندما اتجه بوهمند إلى الغرب الأوربي حمل معه نسخة من أعمال الفرنجة للمؤرخ المجهول، بالإضافة إلى أن قسماً من مؤلف فوشيه الشارتري الذي سجله بعد أحداث حملة 1101م/494هـ كان معروفاً في الغرب وكما سبقت الإشارة كان فوشيه أكثر المؤرخين استخداماً "لصورة الأتراك" في نص خطبة البابا أوربان الثاني. وظهر في هذه الفترة نسخة من خطاب منسوب إلى الامبراطور ألكسيس كومنين وعرف باسم Spuriou Letter. واحتوى الخطاب على طلب مساعدة من روبرت الأول أمير الأراضي الواطئة. وعلى الرغم من أنه مؤرخ في عام 1088م/480هـ إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت عدم صحة هذا التاريخ، بل وتشكك في صحة نسبه إلى الإمبراطور البيزنطي.[46] ووردت فقرات من الخطاب في كتابي جيبرت دي نوجان وروبرت الراهب، وربما كان الأخير هو الذي زوره، خاصة وأنه أكثر المؤرخين الذي عرض صورة سيئة للأتراك سواء في نص خطبة البابا أوربان الثاني أو في حديثه عنهم خلال مؤلفه. ويربط بعض المؤرخين بين تاريخ وضعه لمؤلفه في عام 1107م/500هـ وحملة بوهمند النورماندي الذي كان آنذاك في الغرب يعد لمهاجمة بيزنطة وهو المشروع الذي باء بالفشل.[47] وتضمن الخطاب اتهامات للأتراك بأعمال الذبح والقتل بين المسيحيين، واحتقار السيد المسيح (عليه السلام)، والاستيلاء على جميع الأراضي ما بين بيت المقدس وبلاد الإغريق.[48]

ويأتي كتاب بلدريك أوف دول ــ الذي وضعه حوالي 1108م ـ واعتمد فيه على أعمال الفرنجة لكي يكمل الصورة السيئة عن الأتراك في هذه الفترة. فيذكر ضمن خطبة البابا تعرض المسيحيين في القدس وأنطاكية لأعمال التعذيب والقتل، وتحويل الكنائس إلى حظائر للحيوانات، ثم استهزاء الأتراك بالدين المسيحي، وما حل بالقدس على أيديهم. وأخيراً يصف الأتراك بأقذع الألفاظ وأنهم "السفلة أولاد الحرام الذين يتحكمون في رقاب إخواننا".[49] ولا شك أن هذه الصورة تعبر عن مدى الحقد الدفين لدى هذا المؤرخ تجاه الأتراك ونسبه صفات ليست بهم، ولكن كان الهدف الحقيقي هو إثارة الغربيين للاستمرار في المشروع الصليبي والبحث عن دعاية تحقق ذلك. ولم يجد المؤرخ سوى الأتراك لاستغلال صورتهم في ذلك، في الوقت الذي عرفت فيه باقي القوى الإسلامية عن عدائها مع الصليبيين حيث انشغلت بمشاكلها الداخلية وآثرت سياسة المسالمة معهم.

الخاتمة

شكلت الدعاية حجر الزاوية في صراع البابوية مع المسلمين سواء في الغرب أو المشرق الإسلامي. واستخدمت العديد من المصطلحات في ذلك، فوصفتهم "بالكفار" و"أعداء الرب" وتباينت المصادر الخاصة بالحملة الصليبية الأولى في استخدام "صورة الأتراك" في دعايتها. فالخطابات المعاصرة نجد فيها استخدام "المسلمين" كما ورد في خطابات البابا أوربان الثاني عقب دعوته لقيام الحملة الصليبية الأولى في كليرمون. ولم ينس بطبيعة الحال إلصاق أوصاف "الطغيان" و"الوحشية" بهم. أما رسائل المشاركين في الحملة مثل ستيفن أمير بلوا، وأنسلم، ومجموعة القادة الصليبيين فنجد الإشارة مباشرة إلى "الأتراك" حيث وصفهم "بالخائنين"، "الذين لطخوا بالعار سيدنا يسوع المسيح" و"الكفار".

---

(45)Cat, James Lea." The Crusade of 1101" In A History of the Crusades, ed. Setton, (Madison, 1969), vol.I.pp.343-67.

(46)Joranson, Einar."The Problem of the Spurious Letter of Emperor Alexius to the Court of Fianders: The American Historical Review, 55:4 (1950):811-832

وكذلك: جوزيف نسيم يوسف: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الإسكندرية، 1983، ص 12-20.

(47) The Speech of Urban: The Version of Rheims, in: Peters, pp.26-29.

(48) جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين في الحملة الصليبية الأولى، الإسكندرية، 1983م، ص 307-309 .

(49) The Speech of Urban: The Version of Baldric of Dol, in: Peters, pp.29-33

أما المصادر اللاتينية المعاصرة فنجد الصورة تختلف تماماً عند ذكر الأتراك بها. فالمصادر التي سجلت بنهاية الحملة الصليبية الأولى أي في عام 1099-1100م/492-493هـ، نجد أنها تتضمن الأوصاف السابقة، ثم سيل من الاتهامات بأعمال الإبادة الجماعية للصليبيين سواء في الحملة الشعبية أو في بعض المعارك الأخرى. كذلك اتهامات بالسخرية من المسيح عليه السلام ومن رجال الدين. كذلك سخريتها من شعائر الأتراك مثل النداء في المعارك "الله أكبر"، ومقابرهم، بأنها "شيطانية" حسب زعمهم الكاذب. كما بالغت في أعداد السلاجقة في المعارك الرئيسة، وكذلك الفرعية في الوقت الذي قللت فيه من أعداد الصليبيين لتظهر مدى الانتصار الذي تحقق على الأتراك. كما امتدت الصورة إلى "الشهداء الأتراك" الذين تم التمثيل بهم، وظاهرة قطع رؤوسهم التي تحدثت عنها هذه المصادر وبررت القيام بذلك، بل انها استخدمت كهدايا كما ذكر أحد المصادر اللاتينية غير المعاصرة إلى ذلك. ولم ينس مؤلفو هذه المصادر ـ وهم من رجال الدين ـ أن ينسبوا هذه الانتصارات لمعجزات إلهية وأن الرب كان دائماً معهم ضد"الأتراك الوثنيين" على حد زعمهم. ولمزيد من التفاخر أوردت هذه المصادر بعض نماذج من "الأتراك" الذين ارتدوا عن دينهم، بل وزعمت أن ألفاً من حامية أنطاكية دخلوا في المسيحية وهو ما تم الرد عليه في سياق البحث.

أما مجموعة المصادر التي كتبت بعد عام 1101م/494هـ وهو العام الذي شهد الهزيمة المروعة التي حلت بصليبي هذه الحملة على يد الأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى فقد احتوت على عبارات وأوصاف لم ترد في المصادر السابقة على الرغم من أنها تؤرخ لنفس الفترة. ومنها على سبيل المثال نصوص خطبة البابا أوربان الثاني لدى فوشيه الشارتري ـ الذي سجل تاريخه بدءاً من 1101م، وروبرت الراهب حوالي 1107م، بلدريك أوف دول حوالي 1108م. وقد استغلت "صورة الأتراك" بصورة أكثر دعائية لإثارة الغربيين للمشاركة في الحملات الصليبية بعد كارثة حملة عام 1101م/494هـ. ويعبر أحد المؤرخين الحديثين عن تأثير هذه الدعاية باستخدام "صورة الأتراك" بأنها كانت مصدقة بالكامل وبلا شك فإنها تركت تأثيرها من أجل التحريض على حمل الصليب.

وفي نفس الوقت فإننا إذا عقدنا مقارنة بين هذه الصورة عن الأتراك في هذه المصادر، وبين القوى الإسلامية الأخرى التي واجهت الصليبيين ومنهم "الفاطميين" فلا نجد نفس الصورة ، ويشار إليهم باسم "المسلمين" أو "الشرقيين" و "العرب" و"المصريين". ولم تحتو هذه الكتابات عن نفس الصورة السابقة عن الأتراك والذين تصدوا لهذه الهجمة على الرغم من إخفاقهم في بدايتها.